وحرض المؤمنين[1]

الشيخ الشهيد
عبد الله بن محمد الرشود
رحمه الله ورضي عنه... آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعـوذ بالله من شـرور أنفسـنا ومن سـيئات أعمالنـا، من يهـده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي لـه، ونشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن نبينا محمـداً عبـده ورسـوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصـحابه وتـابعيهم وأتبـاعهم إلى يوم الدين وسلّم تسليماً كثيرا.

أمّا بعد:

إلى أخي المسلم...
إلى أخي الموحد الـــذي يشـــهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، في شرق الأرض وغربها...
إلى من أكرمه اللــه، فأخرجه من ظلمــات الجاهلية إلى نور التوحيد والإيمان...
إلى من أكرمه اللــه، فجعله من خــير أمة أخــرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر...
إلى من أكرمه اللــه، فجعله من أمة خــير البرية على الإطلاق نبينا وسـيدنا وحبيبنا وقـرة أعيننا محمد صـلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين...

وصدق الشاعر يوم أن قال:

ومما زادني شرفا وتيها وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبيا

فلك اللهم الحمد حمدا، ولك اللهم الشكر شكرا...

---

[1]) أصل هذه المادة شريط مصور.

اللهم كما امتننت علينا بالإسلام ابتداءً، فامتن علينا بالثبات والجهاد والشهادة ختاماً يا أرحم الراحمين.

أخي المسلم:

إن الله جل وعلا بواسع رحمته، وعظيم فضله، إختصك من بين سائر الخليقة، فحمّلك أمانة عظيمة، أشفقت من حملها السماوات والأرض، كما قال الله عز وجل: {إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَمَاوَاتِ والأَرْضِ والجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلنَهَا وأَشْفَقْنَ مِنْها وحَمَلَهَا الإنْسَانُ إِنهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولا}.

إن الله عز وجل قد حملك أمانة التوحيد، ومعرفة رب العبيد، المعرفة الحقيقية، المعرفة العملية الواقعية، التي تخرج من طوق الادعاء والانتماء إلى واقع العمل والحقيقة والبذل والتضحية والفداء.

إنه لم يزل قطاع عريض من خير أمة أخرجت للناس لم يعلموا بعد عظيم شأن كلمة "لا إله إلا الله"، ويكفيهم علماً وإدراكاً لعظيم مسؤولية حمل هذه الكلمة وهذه الأمانة؛ الحديثُ المشهور أن موسى عليه السلام قال: (يا رب علمني ذكرا أدعوك وأذكرك به)، قال الله جل وعلا له: (يا موسى! قل: "لا إله إلا الله")، قال موسى: (كل عبادك يقولون هذا!)، قال أحكم الحاكمين ورب العالمين الذي يعلم ولا نعلم، ماذا قال جل وعلا؟ قال الله جل وعلا لموسى فيما أوحاه إليه: (يا موسى! لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع وعامرهن وضعن في كفة، ووضعت "لا إله إلا الله" في كفة لمالت بهن "لا إله إلا الله").

الله أكبر...

ولكن أيها الأحباب... أيها المسلمون... أيها الموحدون... أيها الصادقون... يا من شرفكم الله بالانتماء لهذه الأمة؛

لعلنا وإياكم في هذا اللقاء المبارك نبينُ بعض حقوق هذه الكلمة، التي يجب أن نخدمها، ونقدم لها الغالي والنفيس، لترتفع خفاقة في شرق الأرض وغربها، ولو كره المجرمون، ولو كره المشركون.

إنها ليست كلمة رخيصة حـتى ننصـرها بمجـرد الكلام والادعـاء والانتمـاء، فكل يتكلم، وكـلٌ يـدعي، وكـلٌ ينتمي، وكلٌ يدعي وصلاً لليلى.

ولكن الله جل وعلا الحكيم العليم الـذي أنـزل الكتب، وأرسل الرسـل، وشـرع الشـرائع، هو الـذي بين لنا بأوضح بيان، وتفصيل عظيم في الفرقان - القـرآن العظيم - مبيناً أن لحمل "لا إله إلا اللـــه" ضــرائب تنــوء بحملها الجبــال الراسـيات، لكن المـؤمن العـارف بالله الصـادق المـوقن بمعنى "لا إله إلا اللـه"، وأنه لا قـادر أعظم من اللـه، وأنه لا مقـدم ولا مـؤخر، ولا معطي ولا مـانع، ولا معز ولا مـذل إلا الله، ليخـرج بحقيقة لا معبـود بحق إلا الله... هو النـافع، هو الضـار، هو الـذي ينصر من يشـاء، ويهـزم من يشـاء، يـؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشـاء، كـلَّ يـوم هو في شــأن؛ يعز ذليلاً، ويــذل عزيــزاً، ويقــدم متــأخراً، ويــؤخر متقـــدما... إنه الـــرب الإله العظيم، الـــذي اســـتوى على العــرش، الــذي يعلم دبيب النملة في الليلة الظلمــاء على الصـفاة الملسـاء، لا مخـابرات أمريكا ولا حلفائها وعملائها البائسين، الذين أعلنوا خسـرانهم وإفلاسـهم يـومَ أن زينت لهم شياطينهم مطاردة أوليـاء اللـه، إطفـاء نـور الله، {وإِذْ زَيَّنَ لَهُمْ الشَّـيْطَانُ أَعْمَـالَهُمْ وقَـالَ لاَ غَـالِبَ لَكُمُ اليَـوْمَ مِنَ النَّاسِ وإِنِّي جَارٌ لَكُمْ}.

لمّـا نبقى في طـوق ما يسـمى بــ "الحـرب البـاردة" السـامجة المضـللة الملبسة على أفكـار السـذج الـذين ما تشبعوا بعظيم بيان الله في القـرآن، فيصـدق عليهم إبليس ظنـــه، لكن إذا حُمل الســيف، وتــراءت الفئتــان، وتقابل الجيشان، وأقبلت كتائب الرحمن، وانطلقت مواكب النــور، وتفجرت أنوار الإيمان في قلوب الأوليـاء؛ انهـار الشـيطان، وأولياء الشيطان. ما دام الجهاد ادعاءً وكلاماً ودعوة زعموا وكذبوا، فكلٌ يدعي، كلٌ يفتري، كـلٌ يقـدم باللسـان كلامـاً، وعند الإقدام لا ترى إلا إحجاماً.

أنظر بيـــان العليم الحكيم بمـــواطن ضـــعف العبـــاد وقوتهم، فما هيلمـان الشـيطان، وما إعلام الكفـر، وأربـاب الخسران، إلاّ أشبه ما يكـون ببالونـةٍ جوفـاء تخطف أبصـار من لم ينير الله بصيرته، ولكن أنَّى لها أن تقـوم أمـام الحق إلا وتنفجر.

نعــود إلى قــول البــاري جــلَّ وعلا؛ {وإِذْ زَيَّنَ لَهَمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهَم}...

قبل أن يبدأ القتال، قبل أن تبدأ المواجهة، قبل أن يحسم الخلاف بالحق، الذي يفرق بين الحق والباطل، ويميز الله به بين الطاغوت وجنوده وأوليائه، وبين الدين الحق وجنوده وأولياءه، {الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّه وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ}، يعني لا يقاتل في سبيل الطاغوت أيَّا كان سواءً كان طاغوت قريش، أو طاغوت فرعون، أو طاغوت هامان، أو طاغوت أمريكا، أو غيرها من الطواغيت، ما يقاتل في صفهم إلاّ كافر محض بنص القرآن {وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ}، وانظر كيف يطمئن الله جل وعلا أولياءه أن لا يعبئوا بالطاغوت، ولو بلغت قوته - وأنى له - عنان السماء، ولو ملأ البر والبحر جنوداً وقوات، فإن الأمر لله جميعاً، إن القوة لله جميعاً، إن المكر لله جميعاً، فيقول جل وعلا: {فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا}، الله أكبر، والشيطان ضعيف اليوم كما هو ضعيف بالأمس، ولا يمكن أن يولد شيطان جديد قوي، سواءً من شياطين الإنس أو الجن، لا قوي أمام الله عز وجل، ولا ثبات لباطل أمام نور الحق، ولذلك تجد في القرآن الكريم من الآيات المحكمات البينات التي لا تقبل جدلاً ولا خلافاً هي فيما يتعلق بالخصومة مع الطاغوت وأوليائه، وقتال الطاغوت وأوليائه، بل بين الله جل وعلا في القرآن أن آيات الجهاد محكمة، كي لا يأتي المُخَذِّلون المَخَذَّلون، الموبوءون فكرياً، المريضون عقدياً، فيعقبوا على كلام الله بزعوم التشابه في بعض معاني القرآن {وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ}.

ما قال الجهاد في هذا الموطن، كي لا يأتي - كما قلنا - المأفونون، فيقولون الجهاد له معنى واسع! ويعنون بذلك الفت في عضد بعض أحبابنا وإخواننا الصادقين في طلب هذا الطريق، لكن لبَّس عليهم أحبار السوء - عاملهم الله بما يستحقون - فيأبى الله إلا أن يصرح من باب الإحكام بلفظة القتال {وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوتِ}، فـ "لا إله إلا الله"، ما أحكم الله، الذي لم يدع لمبطل مجالاً لادعاء ولا تلبيس.

ثم يبين جل وعلا أن الخصومة بين الحق والباطل هي أصل من أصول التكليف، وأنه لا يمكن أن يتميز أهل الجنة من أهل النار، ولا أهل الحق من أهل الباطل، إلاّ بالابتلاء حتماً، لا كما يزعم المهزومون المعارضون لكلام الله الجلي من أدعياء العلم والدعوة اليوم، ممن يقول كذباً

وافـتراءً ونسـخاً بعقله للقـرآن: لا يلـزم من هـذا الطريق وجود الابتلاء، وكذب على الله وافترى، أما سـمع قـول الله جل وعلا في الآيات المحكمات بعبارات بينات جليات... بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الـرحيم {أحسب الناس}.

كل النــاس... بأنبيــائهم... بأوليــائهم... بعبــادهم... بأحبارهم... برهبانهم... بعالمهم... بجاهلهم، كلهم داخلـون تحت هـذا الخـبر الـذي يخـبر الله أنه سـيقع بجميع النـاس، {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُـوا أَنْ يَقُولُـوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُـونَ}، لكن ما الفتنة يا أخي؟ الفتنة هي؛ التقوقع على الملـــــذات والهـروب عن مـواطن التكليف القاسـية، ربنا جل وعلا هو الحكيم العليم الذي يبين ما هي الفتنة {وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَـدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَـاذِبِينَ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُـونَ * مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَـإِنَّ أَجَـلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُـوَ السَّـمِيعُ الْعَلِيمُ}.

انظر؛ {وَمَنْ جَاهَـدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِـدُ لِنَفْسِـهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}، بعضهم يأتي ويدعي أنه وصي على الـدعوة وأبناء الدعوة وأبناء الجيل، فيقـول: لا تفتـاتون على الأمـة، وهو يفتات على كلام اللـه! وهو يفتـات على دين اللـه، وهو يتقدم بين يديَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يحرف بأسـلوب ملتـوي ليظهر للنـاس أنه من الكتـاب وليس من الكتاب... {يَلْوُونَ أَلسِـنَتَهُم بِالكِتَـابِ لِتَحْسَـبُوهُ مِنَ الكِتَـابِ وَمَا هُوَ مِنَ الكِتَابِ}، قـاتلهم الله أنى يؤفكـون، ولـذلك يـبين جل وعلا أن من صفات المنـافقين أنهم يقولـون ويكـذبون، والـذي يـبين كـذبهم هي الوقـائع والأحـداث، لا سـيما في مواطن المواجهة والجبهات والقتال.

وفي نفس السورة؛ {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُـولُ آَمَنَّا بِالله ِ}، انظر مقيـــاس بعض الـــذين يفتنــون ولم يبتلى بعشر معشار ما بليَ به أبناء الرعيل الأول، جبال التوحيد، وأسـود الدين، إنما ربما سـجن، قد يكـون فيه إلى حـدٍ ما منعمـاً أو مترفاً - أعني بعض النـاس - أمَّا رجـالات الجهـاد أهل الملة والتوحيد، فكلٌ يعلم ما يعانون تحت وطأة الطـاغوت وليس هذا مجال الاسـتطراد في هـذا البـاب، لكن بعض الـذين إذا فتن فتنة يســــــيرة أنظر كيف ينقلب على عقبيه: {وَمِنَ النَّاسِ مَنَ يَقُـولُ آَمَنَّا بِاللـهِ فَـإِذَا أُوذِيَ فِي اللـهِ جَعَـلَ فِتْنَـةَ النَّاسِ كَعَـذَابِ اللــهِ}، ما قتل وإنما أوذي في الله {جَعَــلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ}، هذا المقيـاس الحقيقي للإيمـان،

ثم يبدأ يغير معاني الحق إلى تزييف وتلبيس والتواء باطـل، للأسف أنه ينطلي أحياناً على من بعض فيهم صدق - هـدانا الله وجميع ضال المسلمين.

وليس هـذا بغـريب في الواقع ولا هـذا اليـوم، فهـذه طبيعة في بعض النفــوس البشــرية، يكــون فيها ربما من البسـاطة في التلقي، وربما السـذاجة في تحرير الأقـوال، وعـــدم التفريق بين الحق والباطل مما يجعل كثــيراً من النـاس تنطلي عليه أقـوال المنـافقين، وهو يظن أنها حـق، وقد قال الله عن خير من أبناء الجيل كلهم... عن بعض من شرفه الله بصحبة الرسول صلى الله عليه وسلم: {وفيكُم سَـمَّاعُونَ لَهُم}، ولــذلك تميّــز المنــافقون بليّ الألســنة ليضلون المسلمين، قال الله عز وجل: {وإنْ يَقُولُوا تَسْـمَعْ لِقَولهِم كَأَنهَّمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَـيْحَةٍ عَلَيهِم هُمُ العَدُوَ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُم الله أَنَّى يُؤفَكُون}.

ولذلك أخي إذا استغنيت عن التماس الهدى من كتاب الله جل وعلا وسـنة رسـوله صـلى الله عليه وسـلم بكلام الرجال - وإن خالفت الحق - مـدعياً أنهم أعلم منك بـالحق في الجملة، فإنك إن فتحت هذا الباب في منهجك وطريقك فلن تقف إلا شـفا جـرف هـار، وقانا الله وإيـاك من الزلل والضلال.

<u>واسمع أخي الكـريم... أخي المسـلم... أخي المعظم لكلام الله جل وعلا...</u>

تأمل قول الباري تبارك وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِـذُوا الْيَهُـودَ وَالنَّصَـارَى أَوْلِيَـاءَ بَعْضُـهُمْ أَوْلِيَـاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَـوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْـدِي الْقَـوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَـرَى الَّذِينَ فِي قُلُـوبِهِمْ مَـرَضٌ يُسَـارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُـونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَـأْتِيَ بِـالْفَتْحِ أَوْ أَمْـرٍ مِنْ عِنْدِهِ}.

ربما يأتي أمر قد لا يكون فتحاً بادئ ذي بــدءٍ في نظر النـاظر لأول وهلـة، ولكن لله عز وجل في عبـاده شـؤون، {أَوْ أَمْـرٍ مِّن عِنـدِهِ فَيَصْـبِحُوا عَلَى مَا أَسَـرُّوا فِي أَنفُسِـهِم نَـادِمِين}... إلى أن قـال جل وعلا مبينـاً أنه إذا تـولى بعض الناس من أدعياء الإيمان والإسلام - تولوا اليهود والنصـارى - واستمرؤوا هذا التولي، وصاغوه في قوالب تبرر فجورهم وطغيــانهم، وتقــريبهم للأعــداء، حين ذاك قد وعد الله أن سيبعث أولياء له أخفياء غرباء يقيم الله بهم الملة العوجـاء،

ويجـدد الله بهم الـدين، ولم يـذكر من صـفاتهم تفاصـيل وفـروع كثـيرة؛ كي لا يلتبس الأمر على عبـاد الله جل وعلا، فقال الحكيم العليم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللـهُ بِقَـوْمٍ...}، ما صـفاتهم الرئيسـية؟ {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ}، أنظر المعاني الربانية، ما ثمـرة هـذا الحب للـه؟ وما ثمـرة الذلة للمؤمن؟ والعزة على الكافر؟ هل الثمرة مجرد لـوك اللسـان من غـير حجة ولا بيـان؟! إنما بالادعـاء والكـذب والبهتان!

كلاَّ... إن الثمرة عملية واقعية تجسيدية تطبيقية تميز الصادق من المنافق، {يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ} فإذا جاهد المجاهد، وإذا انبرى أسود الله، ونفضوا غبار الذل والخـوف والجبن والخور، إذا زأروا في غابة الظلم ليعيدون الحق إلى نصابه، يا تُرى سيكون في المجتمع كالمعتـاد سـلفاً وخلفـاً، سـواءً في تـاريخ بـني إسـرائيل، أو في تـاريخ هـذه الأمة الماضـي، سـيكون في المجتمع من قد يكـون أعلى منزلة من هؤلاء القوم الأخفيـاء المغمـورين الـذين لا يملكـون إلاَّ الحب في الله، والبغض في اللـه... الله أكـبر... وكفى بـه! سـيكون في المجتمع ذووا مناصب... ذووا هيئـات... ذووا أقـدار... حملة علم... ذووا وجاهـات... ذووا كلام ولسـان وبلاغة وفصاحة وبيـان... أنـواع وطبقـات، هـؤلاء لما يـرون أشباه ابن مسعود، وأشباه عمار، وأشباه سلمان، وصـهيب وغيرهم، سوف ينبعث نتن النفاق من القلـوب ليخـرج على قـالب الألسـن، فيبـدؤون يعرضـون بـالمؤمنين لأنهم لا يستطيعون أمام الناس أن يطعنوا في القرآن! لأن الله جل وعلا قد حفظ كتابه من تحريف المحرفين، ولكن يعرضـون بـالمؤمنين همـزاً ولمـزاً وانتقاصـاً وتشـويهاً وتعيـيراً من الألفـاظ النابية المنفـرة، مما هي عـادة المتكـبرين من السـابقين واللاحقين، فـإذا أكـرم الله ثلة من المؤمـنين الأخفياء الأذلة على المؤمنين الأعزة على الكافرين، فـرأى المنـافقون ألا طاقة لهم أن يـروا أوليـاء لله تصـدروا الجبهـات، وتقـدموا الصـفوف في الحـروب والمواجهـات، ستجد اللوم، واللوم له أنواع وله أساليب وله قوالب بعضها قد يخـرج للأسف بصـيغة شـرعية تلصق بالشـرع للأسف افتراءً واستهانةً بعظمة الله، كأن الله تعـالى علـواً كبـيراً لا يعلم ما في قلـوبهم، جـرأة على الله جل وعلا، فيلومـون أولياء الله - جنود أمة محمد صلى الله عليه وسلم –

لكن هـذا اللـوم والطعن والشـتم والسب والجـرح، وغير ذلك، هل يؤثر عليك أخي المجاهـد... أخي الصـادق...

أخي الباذل روحه فداءً لدين الله... هل سيبلغ بك الضعف، وسيبلغ بك الجهل إلى أن تنطلي عليك، أو أن تؤثر عليك لومة أولئك اللائمين بعد أن بصرك الله بنور الطريق؟ إنه من صدق حب الله جل وعلا والله ما تؤثر عليه، كما قال جل وعلا في نفس الآية {لَا يَخَافُونَ لَومَةَ لَائِمٍ}، هذه المعاني العظيمة إذا قذفها الله في قلب العبد الضعيف، وقد لامه الخلق، من شياطين الإنس والجن - أعني بأعلامهم بأبواقهم بعملائهم بخيلهم برجلهم - كلٌ يطعن ويلوم، ثم يقف المجاهد الأسد صامداً شامخاً معتزاً بالله، بل والله إن من صدق الإيمان، وإن من استقراره في سويداء قلب المجاهد أن يزيد إيمانه كلما احتدم الظلام، وكلما حلكت الظروف، أما سمعت قول الله جل وعلا: {ولمَا رَأى المؤْمِنُونَ الأَحْزابِ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنا اللهُ ورَسُوله، وصَدَقَ اللهُ ورَسُوله ومَا زَادَهُم إِلاَّ إيمَاناً وتَسْلِيماً}.

فالبلاء وتكالب الأعداء، لا يزيد المؤمن إلا يقيناً وثباتاً وشموخاً وصموداً، وإنه بعد البلاء خيرٌ منه قبل البلاء، إيماناً وصبراً ويقيناً وثباتاً وإصرارا وإرخاصاً للحياة وملذاتها، وشوقاً إلى ما عند الله جل وعلا من جنات عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، رزقني الله ذلك وإياكم بواسع رحمته، وعظيم فضله.

وفي موطن آخر يبين جل وعلا أن احتدام البلاء يزيد في ثبات المؤمن وإصراره: {الَذِينَ قَالَ لهَم النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوهُم}.

انظر الذين اليوم يقولون إن أمريكا وحلفاءها قد جمعوا للأمة الإسلامية، وجمعوا لنا في الجزيرة وفي العراق وفي غيرها، أنى لنا بمواجهتهم، ويحثونك على خشيتهم! لكن ربما يكون عند بعض المتأخرين فقه شيطاني، ما يقولون فاخشوهم، يقولون من باب مداراة العدو! خبث ما أدركه حتى منافقو العصر الأول، ما يقولون فاخشوهم لأنهم علموا أنها مكشوفة في القرآن، فيقلبونها في قالب آخر، ويسمونها بغير اسمها، فيقولون: لا بد نداري العدو! لسنا على مستوى العدو في العدد والعدة، المسألة مسألة توقيت ليس هذا وقت الجهاد! فإذا قلت متى وقت الجهاد؟ قال: ما أدري!

حدد لنا وقتاً تقترح فيه أن نبدأ فيه بقتال العـدو، فتجد أنه صفر اليدين كـاذب الادعـاء، إنما يخـذل ويريد أن يقـول فاخشوهم لكن عبَّر بأسلوب آخر...

ما سـمع المخـذول المـرذول المنطفئ من قلبه نـور الـوحي، ما سـمع قـول الله جل وعلا في قصة طـالوت وأصحاب طالوت: {فَلمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالجنودِ قَالَ إِنَّ اللهَ مُبتَلِيكُمْ بِنَهْرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْـهُ فَلَيسَ مِنِّي وَمَنْ لمْ يَطْعَمْـهُ فَإِنَهُ مِنِّي إِلاَّ مَنْ اغْتَـرَفَ غُرفَةً بِيَـدِهِ فَشَـرِبُوا مِنْـهُ إِلاَّ قَليلاً مِنهُم فَلمَّا جَاوَزهُ هُوَ والذِينَ آمَنُوا مَعَهُ}.

يقـول بعض المفسـرين كالسـدي وغـيره: كـان عـدد جيش طالوت الذين أرادوا القتـال قبل أن يوجبه الله عليهم يناهزون الثمانين ألفاً، ثم بقـدر الله وقضـائه وحكمته نُصب على طريق الجهاد والعز معـالم ابتلاء، وفـرص للمخـذولين أن يتراجعوا قبل أن يصلون خط النار، فتسـاقط المـدعون، والكذابون والمفترون فتنـةً إثر فتنـة، حـتى تجـاوزوا النهـر، فلم يجـاوز النهر مع طـالوت من ثمـانين ألفـاً إلا ثلاث مئة وأربعة عشر رجلاً!

أنظر سـنة الله في السـابقين وفي اللاحقين، ولما جاوزوا أيضـاً، هل أيضـاً كلهم كـانوا على مسـتوى الصـمود المطلـق؟ أيضاً ما زال في قلـوب بعضـهم، من الصـادقين المؤمـنين الـذين نسـفوا ملـذات الـدنيا وراءهم، وتحملـوا مشاق اللوم والطعن السب والشتم وجـاوزوا النهـر، أيضـاً لما جـاوزوا قـال جملتهم أو كثـير منهم لما رأوا قـوات الطاغية جـالوت؛ {الُـوا لا طَاقَـةَ لَنَا الَيَـوْمَ}، انظر الـذين يقولـون الطاقة والقـدرة، يقولـون لا بد أن يكـون هنـاك مقاربة في العدد والعدة، {الُـوا لا طَاقَـةَ لَنَا الَيَـوْمَ بِجَـالُوتَ وَجُنُودِهِ}، لكن لن تعدم الأمة الصادقة في كل زمـان، وفي كل مكان، من بضـعة نفـر، يثبتـون بتثـبيت اللـه، يشـجعون بكلام اللـه، يؤيـدون بسـنة رسـول الله عليه الصـلاة والسـلام... {قَـالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَـةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِـيرَةً} بعضـلاتهم؟ بقـوتهم؟ بقـبيلتهم؟ بحسبهم؟ بنسبهم؟ بجنسيتهم؟ بادعائهم التوحيد؟ بادعائهم تحكيم الشـرع كـذباً وبهتانـاً؟ لا... {بِـإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَـعَ الصَّابِرِينَ}.

انظر الجولة الأخيرة؛ لما أقدموا {وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُـودِهِ} واصـطف الجيشـان طبعـاً، ورأوا أن حيلتهم انقطعت، وأن عـالم الأسـباب قد تلاشى أمـامهم، لأنه لا

مقاربة البتة بين الجيشـــين، ولا يمكن أن يكـــون فيه أي مقارنة في العدد والعدة، فلما انقطعت الحيل، أين الملجأ؟ لا ملجأ من الله إلا إليه، انظر مـاذا قـالوا {قَـالُوا رَبَّنَا أَفْـرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُـرْنَا عَلَى الْقَـوْمِ الْكَـافِرِينَ}، إنه السـلاح المطلق الـذي لا يخـذل من تسـلح به على الإطلاق... فما هي النتيجـة؟ بعد الـدعاء مباشـرة، بعد أن يئسـوا من نصر الخلق لهم، ولم يبـقَ في السـاحة - في الميدان - إلا هذا العدد اليسير، فما إن رفعوا أكف الضراعة بصدق إلى الذي بيده نواصي الجبابرة، إلى من بيـده رقـاب طواغيت الإنس والجن، {فَهَزَمُـوهُمْ بِـإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَـلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْـكَ وَالْحِكْمَـةَ} انظر كيف الفتـوح بعد الجهـــاد، لا ملك ولا علم حقيقي ولا حكمة ربانية ولا دفع للباطل وأهله إلا بالجهاد والقتال.

{وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ}، مـتى آتاه الله العلم والحكمة قبل الجهاد أم بعد الجهـاد؟ ما كـان داود عليه السلام قبل الجهاد لا نبياً ولا عالماً ولا ملكـاً، فلما أكرمه الله بـأن تلطخت كفه بـدم الطـاغوت جـالوت، انظر كرم الكريم جل وعلا {وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَـاهُ اللَّهُ الْمُلْـكَ وَالْحِكْمَـةَ}، لم ينتظر داود إقامة حـوار مع جـالوت - على جنب - لمـدة عشر سـنوات أو خمس سـنوات أو زد أو انقص، كما يقول بعضـهم لئن يهتـدي - انظر كيف التلـبيس المقيت - يقول: لئن يهدي الله عل يـديك قس خـير من أن تقتله! هذا تكـذيب للرسـول صـلى الله عليه وسـلم، وهـذا تنقص لرسـول الله عليه الصـلاة والسـلام وأصـحابه، انظر كيف يقلبون الباطل في قوالب يزعمون أنها حق، لكن...

{وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَـهُ مِمَّا يَشَـاءُ وَلَـوْلا دَفْـعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَـهُمْ بِبَعْضٍ} ليس بالحوار... الدفع المعـني في هـذه الآيـة، أما الحـوار فإنه لا يـدفع حـتى أحقر مخلـوق، لا شك أن الحـوار له وزنه في الشـرع لكن له مرحلتـه، وله وقتـه، وله ظروفـه، وله وزنه الشـرعي الواضح الـذي ليس هـذا مجـال استعراضه في الآيات، أما إذا دهم العدو، أما إذا تسـلط الظـالمون، أما إذا اسـتبيحت مقدسـات المسـلمين، أما إذا نطق الملحـدون بالشـرك والكفر في بلاد الحـرمين، أما إذا سُـجِّن وأوذي أوليـاء الله علمـاء التوحيد علمـاء الملة ولم يحـاوروا بهـذا الحوار المزعوم، فلا حل إلاّ السيف، والعـزة لله ولرسـوله وللمؤمنين.

{وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَـدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْـلٍ عَلَى الْعَـالَمِينَ}، وفي سـورة الحج: {هُدِّمَتْ صَوَامِعُ} القضية قضـية عمل وهـدم وبنـاء ونسف منشآت، إن لم ننسف منشآتهم في حـدود الشـرع سـوف ينسـفون المسـاجد بنص القـرآن {لَهُـدِّمَتْ صَـوَامِعُ وَبِيَـعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِـيرًا وَلَيَنْصُـرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}.

كم من منــارة؟.. كم من مســجد؟.. كم من بقعة طاهرة دمرتها روسيا وأمريكا واليهود والمنافقون وأذنـابهم في كل مكان؟ كم؟.. وكم؟.. وكم؟..

ثم لما دمر أولياء الله - نحسبهم كذلك - بـرجين فقط من أبــراج الكفر والطغيــان، ومحاربة دين الملك الــديان، نطق الببغــاوات... أبــواق طــواغيت الفســاد... مظلات الطواغيت، الذين يغطون عليهم باسم الشـرع، قـاتلهم الله أنى يؤفكون، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكـافرون، ولو كره المجرمـون، ولو كـان تمـام النـور بـأرض مفروشة بالعطور والورود والزهور لما فضح كثـير من الأدعيـاء، ولما تلكأ كثـير من المنتمين، ولـدخل الحابل مع النابل والصـادق مع الكاذب، ولكن يأبى الله إلا أن ينصب في الطريق معالم تنحسر دونها أقــدام الــذين لا يوقنــون، أما الصــابرون المؤمنــون فــإن هــؤلاء لا يمكن أن يــتزلزلون بفضل الله عليهم، أما ســمعت قــول الله جل وعلا {فَاصْـبِرْ} لو أن الطريق ما كان فيه تلك المشقة لما قـال الله {فَاصْـبِرْ}... {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} حـق... وإن عقلك لم يستوعب كل الاســتيعاب؛ لأن موسى عليه الســلام لما بلغ البحر وخلفه الطاغوت فرعون وأولياؤه وجنوده، قال له أصـحابه: {إِنَّا لَمُــدْرَكُونَ}؛ فرعــون خلفنا والبحر أمامنــا، مثل ما يقولــون الآن إنَّا لمــدركون؛ أمريكا بأقمارها وبأســلحتها وبقواتها وبقنابلها وبصـواريخها العـابرة للقـارات أنى لنا أن نواجهها؟! {إِنَّا لَمُدْرَكُونَ}... كما يقـول كثـير من الـذين لم يعرفوا الله حق المعرفة.

لكن حينهـا... موسى عليه السـلام هل اهتـدى مـاذا سيصنع الله له؟ لا... لكنه اهتـدى أن النصر آت لكن لا يعلم كيــف، قــال: {كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَـيَهْدِينِ} ما قـال؛ معي جيش... معي قــــوة... ولكن قـــــال: {كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَـيَهْدِينِ} يعـني؛ سـيهديني مـاذا أصـنع، مـاذا أفعل أمـام العــدو؟ إننا في مــأزق لا يوصــف، لكن لي رب ســيهديني، يقين... انظر الموقــنين كيف أنهم ينصــرون، ما إن أكمل

موسى - عليه السلام - مقولته إلا والوحي يأتيه مباشرة، ليري الله الخليقة في وقته وبعده عبرة، أمره الله فقط بعصاه فقط أن يضرب بها البحر! لم ينصر بسيفٍ ولا بقوة ولا بقنبلةٍ ولا بأسلحة دمار شامل أو غير شامل، حتى العصا لو لم تجدها بعدما تفعل كل ما تستطيع من الأسباب الحاضرة لا الأسباب الموهومة التي ليس في وسعك نيلها، إنما الذي يحضرك من الأسباب افعله... ابذله... لا تقصر فيخذلك الله... حتى لو كانت عصا، كما فعل موسى - عليه السلام - فأمره الله أن يضرب البحر... إلى آخر القصة... فجعل الله نصرهم بسبب عصا! لا إله إلا الله الذي يصنع من الجمادات انتصاراً عظيماً، يخلد في التاريخ، ويكون عبرة للمعتبرين.

يوم بدر... يحثوا حبيبنا وقرة أعيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي هو وأمي حثوةَ تراب على وجوه القوم من المشركين فيولون الدبر! أمر لا تستوعبه عقول البشر المجردة عن الوحي، قال الله جل وعلا: {وَمَا رَمَيتَ إِذْ رَمَيْتَ}، هناك قوة غيبية غلبة قاهرة قادرة... {وَمَا رَميْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ الله رَمَى}، أنت افعل ولو حثوة تراب، وليس هذا الفعل من موسى عليه السلام ولا من محمد عليه الصلاة والسلام ليس عبثاً، ولكنه قمة الهداية ليبصر الله من شاء من خلقه ويهديه إلى هذه المعاني الدقيقة الواضحة البينة.

فنعود إلى قوله: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌ} وإن لم تهتدِ كيف تصنع... {إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌ}... انتبه... {ولا يَسْتَخِفَنَّكَ الذِينَ لا يُوقِنُونَ}، لا يستخفنك، تسمع كلامه ثم تصدق! أو يقع في نفسك شيء من الشبهات، وشيء من الاهتزاز... فتتراجع! أو تُحبط! أو تنهزم! أو تتردد لو قليلاً فتكون ممن قال الله فيهم: {فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُون}.

وانظر يا أخي موقفاً أخراً...

لما غزا موسى نبي الله عليه الصلاة والسلام وجندُه فلسطينَ فأبى كثيرٌ من المهزومين الذين يوجدون في كل تاريخ وفي كل زمان للأسف قالوا: {إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ * قَالَ رَجُلان...} جيش مليء بالشجعان والكبراء والوجهاء لكن ما نطق إلا رجلان! {مِنَ الذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِمَا ادْخُلوا عَلَيْهِمُ البَابَ}، مجرد يا أخي لو دخول باب فقط، أنت انطلق... امض... اخط خطوات، {فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ

غَالِبُونَ}، ما قال؛ فإذا أطلقتم... فإذا رميتم الـرمح، مع أن هـــذه مرحلة أكيد لا بد منهـمـا، لكن النصر يـــأتي مع أول خطــوة... {ادْخُلُــوا عَلَيْهِمُ الْبَـابَ فَـإِذَا دَخَلْتُمُــوهُ فَـإِنَّكُمْ غَـالِبُونَ}... لكن بشــرط التوكل {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُــوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}.

الكلام قد يطول في هذا المجال، لكن لعلنا نواصل إن الله عز وجل مد في العمـــر، لعله يكـــون لنا إن شـــاء الله لقاء... ولقاء... ولقاءات... إن شاء الله عز وجل نحرر فيها بعض المســائل الأخــرى، عسى الله أن ينفعنا بما ســمعنا، ويعلمنا ما ينفعنــا، وأســأل الله جل وعلا أن يجعلنا وإيــاكم ممن يقــول ويفعــل، وأن لا يجعلنا ممن إذا قــال لم يفعــل، الــذين يمقتهم الله أشد المقت... {يَا أَيُّهَا الَّـذِينَ آمَنُــوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُـونَ * كَبُـرَ مَقْتَاً عِنْـدَ الله أَنْ تَقُولُـوا مَا لا تَفْعَلُونَ}.

ما هو الصدق الذي يـوجب حب اللـه؟ والكـذب الـذي يوجب مقت الله؟ ماذا قال؟ {إِنَّ الله يُحِبُّ الَّـذِينَ يُقَـاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله صَفَّاً كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ}، فالصدق الـذي يسبب رضا الله؛ القتال صف، والعكس بالعكس.

فأســأل الله أن يجعلنا وإيــاكم أن يجعلنا وإيــاكم من أهل هـــذا الطريـــق، أســـأل الله جل وعلا أن يجعلنا من أصحاب الصبر واليقين، أسأل الله العظيم الذي لا إله غيره الحي القيوم بأسمائه وصـفاته وقدرته على كل شـيء أن لا يقبضنا حتى يشفيَ صدورنا من أعداء الله، من جنـود بـوش ومن اليهـــود ومن النصـــارى ومن المنـــافقين ومن العملاء ومن الطواغيت ومن جنودهم، ومن جميع الظـالمين الـذين يعــذبون ويــؤذون المؤمــنين، اللهم لا تمتنا حــتى تشــفي صدورنا فيهم، اللهم أرهم ضـعفنا قـوةً عليهم، وأرنا قـوتهم ضعفاً عليهم يا قوي يا عزيز، اللهم إننا واثقون بك كل الثقة أن كيـدهم ضـعيف، وأن كيـدك عظيم، وأنهم يكيـدون كيـداً وتكيد كيـداً، فما أعظم كيـدك يا رب العـالمين فـأنت خـير الماكرين...

اللهم حقق آمالنا فيما يرضـــيك ويســـرنا، اللهم أنقذ إخواننا من ســـجون الطـــواغيت، اللهم أنقذ مشـــائخنا من سـجون الطـواغيت، اللهم اشـفِ صـدورنا في الطـواغيت، اللهم إنّا نعلم أنهم لا يقـــــدمون ولا يـــــؤخرون، اللهم يا ذا الجلال والإكرام كن لشيخنا المظلوم الشيخ وليد الســناني، اللهم كن له ولياً ونصــيراً، اللهم انصـــره على من ظلمـــه،

اللهم اثـــأر له على من بغى عليـــه، اللهم احفظ أخواتنا المسـجونات في الـرويس والحـائر، اللهم احفظهنَّ يـارب العــالمين، اللهم احفظ أعراضــهن، اللهم احفظ صــحتهن، اللهم احفظ دينهن، اللهم عجل فــــــــرجهن يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم انصر كل من نصر الـــدين، اللهم انصر كل من نصر الدين، اللهم اخذل كل من خذل الدين.

وإلى لقاء أيها الأحباب... نراكم إن شاء الله على خير في لقاءات قادمة، ومعذرةً على الإطالة، ثبت الله الجميـع، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك[2].

2) أسئلة آخر المحاضرة غير متوفرة مع هذا النص.